وَإِنَّ مَـدِيـحَ الـنَّـاسِ حَـقٌّ وَبَـاطِـلٌ
وَمَـدْحُـكَ حَـقٌّ لَـيْـسَ فِـيـهِ كِـذَابُ[١]
إِذَا نِـلْـتُ مِـنْـكَ الْـوُدَّ فـالـمَـالُ هَـيِّـنٌ
وَكُـلُّ الَّـذِي فَـوْقَ الـتُّـرَابِ تُـرَابُ[٢]
وَمَـا كُـنْـتُ لَـوْلَا أَنْـتَ إِلَّا مُـهَـاجِـراً
لَـه كُـلَّ يَـوْمٍ بَـلْـدةٌ وَصِـحَـابُ[٣]
وَلٰـكِـنَّـكَ الـدُّنْـيَـا إِلَـيَّ حَـبِـيـبَـةً
فَـمَـا عَـنْـكَ لـي إِلَّا إِلَـيْـكَ ذَهَـابُ[٤]

قلب ضيق وبطن رحيب

وقال يهجوه:

[الطويل]

وَأَسْـوَدَ أَمَّـا الـقَـلْـبُ مِـنْـهُ فَـضَـيِّـقٌ
نَـخِـيـبٌ وَأَمَّـا بَـطْـنُـهُ فَـرَحِـيـبُ[٥]

= أنك واحد عصره وأسد فيه المهابة والقوّة والشجاعة والحكمة خلاف غيرك ممن يسمّوْن ملوكاً، فهم في الحقيقة ذئاب يتكالبون على الاستئثار بمصير البشر، وتتحكّمهم أنانية بغيضة، وعليه فلو أن قارئاً أخطأ عند المقايسة لفظ الذئاب بدلاً من الذئاب لكان حرياً وجديراً بالتقدير، فإنه لم يخطئ الحكم ولنطق بالصواب، بأنك ليث ضارٍ وغيرك من الملوك ذباب.

(١) سوق المديح سوق رائجة، والشعراء قد تعوّدوا وعوّدوا ممدوحيهم على سرد صفات قد تصدق على ممدوحيهم وقد تكذب، لكن مدح الشاعر لممدوحه مدح صادق يعبّر عن لغة القلب المحبّ.

(٢) إلحاح الشاعر على طلبه أمنيته الغالية في هذا الوجود بينما جمع المال هيّن وهو يأتي ويذهب وهذا مآله إلى الضياع، وكلّ ما في الكون تراب يعود إلى التراب.

(٣) و (٤) يخاطب الشاعر ممدوحه؛ إنه مقصوده، فقد هاجر إليه طلباً للاستقرار والأمن وإلّا فإنه لن يستقرّ بمكان؛ فالبلاد كلها دار هجرته والناس كلّهم سواء بالنسبة إليه. ولقد ضاقت الدنيا حتى اختصرت بشخص ممدوحه ولا غنى عنه وهو غايته التي يسعى إليها وفيها أمله.

(٥) وردت الأبيات الثلاثة في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥١. نخيب: خاوٍ، =

يَـمُـوتُ بـهِ غَـيـظـاً عـلـى الـدهـرِ أهْـلُـهُ
كـمَـا مَـاتَ غَـيـظـاً فـاتـكٌ وَشَـبِـيـبُ(١)
إذا مـا عَـدِمـتَ الأصْـلَ وَالـعـقـلَ والـنّـدى
فَـمَـا لـحَـيَـاةٍ فـي جَـنَـابِـكَ طِـيـبُ(٢)

لا بدَّ للإنسان من ضجعة

توفيت عمة عضد الدولة ببغداد فقال يرثيها ويعزيه بها:

[السريع]

آخِـرُ مَـا الـمَـلْـكُ مُـعَـزَّى بِـهِ
هَـذَا الَّـذِي أثَّـرَ فـي قـلْـبِـهِ(٣)

= جبان. الرحيب: الواسع. انقلبت الموازين، والهجاء كهف مظلم، تنكشف فيه العورات، وتستحيل فيه الفضائل إلى رَذائل فالآن كافور أسود يجرّ عبوديته معه حيثما حلّ، عبوديّة ممقوتة مرذولة، ولقد تقلّص قلبه وانكمش على ذاته وأغلق على جهل وحماقة وجبن، واتسع بطنه ليستوعب جهلاً وجشعاً لا حدود له.

(١) إنه مقياس غير عادل؛ فالدهر مخطئ، إذ جعل كافوراً ملكاً على سادة قتلهم الغيظ وسوء حظوظهم تماماً كما مات فاتك وهو فاتك الرومي، الملقب بالمجنون لشجاعته، ويقال له فاتك الكبير: ممدوح المتنبي. أخذ من بلاد الروم صغيراً، وتعلم الخط في فلسطين. وكان في خدمة الإخشيد فأعتقه وأقطعه «الفيوم» وأعمالها، فأقام بها. توفي سنة ٣٥٠هـ = ٩٦١م. انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١: ٤٠٦. وشبيب هو: شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني، أبو الضحاك: من أبطال العالم، وأحد كبار الثائرين على بني أمية. التقاه الحجاج بن يوسف، وخبر موته أنه مرّ بجسر دجيل (في نواحي الأهواز) فنفر به فرسه، وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفرة وغيرهما، فألقاه في الماء فغرق سنة ٧٧هـ = ٦٩٦م. انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١: ٢٢٣، البيان والتبيين ١: ٧١.

(٢) يخاطب الشاعر مهجوه وقد جرّده من كلّ فضيلة؛ إنه لا أصل له، ضائع النسب، فاقد العقل يتساوى مع البهائم والحيوانات، ينساق بغرائزه، بخيل نتن، تشنَّجت يداه عن كلّ مكرمة، لذا فالحياة إلى جانبه جحيم، لا رواء فيها، دائمة الجفاف.

(٣) يدعو الشاعر للملك أن يجعل اللّه تعالى موت عمته آخر حادث أليم يعزّى به فلا تنزل الأحزان بساحته بعد ذلك.